

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ السَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ آدَابِ الْعِلْمِ وَآفَاتِهِ

[آفَاتُ الْعِلْمِ]

المُحَاضَرَةُ الْأُولَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كَوْنِهِ: أَنْ جَعَلَ دُونَ الشَّيْءِ النَّفِيسِ عَقَبَاتٍ تَتَحَطَّمُ دُونَهَا الْأَهْوَاءُ، فَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ إِلَّا مَنْ جَاهَدَ وَصَبَرَ.

وَالْجَنَّةُ أَكْبَرُ مَا تُؤَمِّلُهُ النَّفْسُ، وَأَعْظَمُ مَا تَهْفُو إِلَيْهِ الرُّوحُ، فَكَانَ حَتْمًا أَنْ تُخَفَّ بِالشَّهَوَاتِ الَّتِي تَصْرِفُ عَنْهَا وَتَقْطَعُ دُونَهَا، حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَتِ النَّفْسُ لُجَجَ الْجَرْمَانِ، وَامْتَطَتِ صَهْوَةَ الصَّبْرِ، وَتَشَبَّثَتْ بِقَوَائِمِ الثَّبَاتِ، وَتَمَسَّكَتْ بِعَزَائِمِ الْجِدِّ، كَانَ لَهَا إِلَى الْجَنَّةِ وَصُولٌ وَأَيُّ وَصُولٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ ﴿[آل عمران: ١٤١-١٤٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَ (١) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ١-٣].

وَمِنْ جَوَامِعِ كَلِمِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ،

وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ^(١).

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَنَدِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(٢).

«حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»: هَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «حُفَّتْ». وَوَقَعَ فِي الْبُخَارِيِّ: «حُجِبَتْ». وَوَقَعَ فِيهِ أَيْضًا: «حُفَّتْ». وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَذَا مِنْ بَدِيعِ الْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ وَجَوَامِعِهِ الَّتِي أُوتِيَهَا ﷺ، مِنَ التَّمَثِيلِ الْحَسَنِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يُوصَلُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا بِارْتِكَابِ الْمَكَارِهِ، وَلَا إِلَى النَّارِ إِلَّا بِالشَّهَوَاتِ، وَكَذَلِكَ هُمَا مَحْجُوبَتَانِ بِهِمَا، فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَابَ وَصَلَ إِلَى الْمَحْجُوبِ، فَهَتَكَ حِجَابَ الْجَنَّةِ بِاقْتِحَامِ الْمَكَارِهِ، وَهَتَكَ حِجَابَ النَّارِ بِارْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ ﷺ وَبَدِيعِ بَلَاغَتِهِ فِي ذَمِّ الشَّهَوَاتِ وَإِنْ مَالَتْ إِلَيْهَا النُّفُوسُ، وَالْحَضُّ عَلَى الطَّاعَاتِ وَإِنْ كَرِهَتْهَا النُّفُوسُ وَشَقَّ عَلَيْهَا.

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: نَشْرُهُ د. مُصْطَفَى دِيب الْبَغَا (٦١٢٢).

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٢٨٢٢).

(٣) تَعْلِيقُ الْأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ فُرَادِ عَبْدِ الْبَاقِي، عَلَى «صَحِيحِ مُسْلِمٍ». [صَحِيحُ مُسْلِمٍ

وَقَدْ وَرَدَ إِضْصَاحُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ فَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا». قَالَ: «فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خُفَّتْ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ».

قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ»^(١).

فَهَذَا يُفَسِّرُ رِوَايَةَ الْأَعْرَجِ^(٢)، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَكَارِهِ هُنَا: مَا أَمَرَ الْمُكَافَأُ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ فِيهِ فِعْلًا وَتَرْكًا كَالْإِتْيَانِ بِالْعِبَادَاتِ عَلَى وَجْهِهَا، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ قَوْلًا وَفِعْلًا.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٦٥/١٦)، وَابْنُ دَاوُدَ (٤٧٤٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (١٦١/٣)، وَالنَّسَائِيُّ (٣٧٦٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ» (٧٩٧/٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٥٦٠)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ) (٥٨٩/٤).

(٢) يُرِيدُ رِوَايَةَ الْبُخَارِيِّ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَدِيثَ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، يَرْفَعُهُ «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» نَشْرُهُ د. مُصْطَفَى الْبَغَا (٢٣٧٩/٥).

وَأُطْلِقَ عَلَيْهَا الْمَكَارِهَ؛ لِمَشَقَّتِهَا عَلَى الْعَامِلِ وَصُعُوبَتِهَا عَلَيْهِ، وَمَنْ جُمِلَتْهَا الصَّبْرُ عَلَى الْمُصِيبَةِ وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا.

وَالْمُرَادُ بِالشَّهَوَاتِ: مَا يُسْتَلَذُّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مِمَّا مَنَعَ الشَّرْعُ مِنْ تَعَاطِيهِ إِمَّا بِالْأَصَالَةِ وَإِمَّا لِكَوْنِ فِعْلِهِ يَسْتَلْزِمُ تَرْكَ شَيْءٍ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ.

وَيُلْتَحَقُ بِذَلِكَ الشُّبُهَاتُ وَالْإِكْثَارُ مِمَّا أُبِيحَ خَشِيَةَ أَنْ يُوقَعَ فِي الْمُحَرَّمَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا يُوصَلُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا بِارْتِكَابِ الْمَشَقَّاتِ الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِالْمَكْرُوهَاتِ، وَلَا إِلَى النَّارِ إِلَّا بِتَعَاطِي الشَّهَوَاتِ، وَهُمَا مَحْجُوبَتَانِ فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَابَ اقْتَحَمَ^(١).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَذَا مِنْ بَدِيعِ الْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ وَجَوَامِعِهِ الَّتِي أُوتِيَهَا ﷺ مِنَ التَّمَثِيلِ الْحَسَنِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يُوصَلُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا بِارْتِكَابِ الْمَكَارِهَ، وَلَا إِلَى النَّارِ إِلَّا بِالشَّهَوَاتِ، وَكَذَلِكَ هُمَا مَحْجُوبَتَانِ بِهِمَا، فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَابَ وَصَلَ إِلَى الْمَحْجُوبِ، فَهَتَكَ حِجَابَ الْجَنَّةِ بِاقْتِحَامِ الْمَكَارِهَ، وَهَتَكَ حِجَابَ النَّارِ بِارْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ، فَأَمَّا الْمَكَارِهُ فَيَدْخُلُ فِيهَا الْاجْتِهَادُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمُوَاطَظَةُ عَلَيْهَا وَالصَّبْرُ عَلَى مَشَاقِّهَا، وَكَظْمُ الْغَيْظِ، وَالْعَفْوُ، وَالْحِلْمُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْمُسِيءِ، وَالصَّبْرُ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ؛ كَالْخَمْرِ، وَالزَّيْنِ، وَالنَّظَرِ إِلَى الْأَجْنِبِيَّةِ، وَالْغَيْبَةِ، وَاسْتِعْمَالِ الْمَلَاهِي وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(١) «فَتَحَ الْبَارِي بِشَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» لِابْنِ حَجَرٍ (١١/٣٢٧).

وَأَمَّا الشَّهَوَاتُ الْمُبَاحَةُ فَلَا تَدْخُلُ فِي هَذِهِ، لَكِنْ يُكْرَهُ الْإِكْثَارُ مِنْهَا؛ مَخَافَةَ أَنْ يَجْرَّ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ، أَوْ يُقْسِي الْقَلْبَ، أَوْ يَشْغَلَ عَنِ الطَّاعَاتِ، أَوْ يُخْرِجَ إِلَى الْإِعْتِنَاءِ بِتَحْصِيلِ الدُّنْيَا وَنَحْوِ ذَلِكَ»^(١).

فَالْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ مَحْفُوفٌ - أَيْضًا - بِمَا يُكْرَهُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مَشَقَّتُهُ لَيْسَتْ فِيهِ هُوَ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَإِنَّمَا فِي تَخْلِيصِهِ وَتَنْقِيَتِهِ مِمَّا يُفْسِدُهُ عَلَى عَامِلِهِ وَمُبْتَغِيهِ، وَهَذَا أَشَقُّ مَا يَلْقَاهُ الْعَامِلُ فِي عَمَلِهِ.

وَلَمَّا كَانَتْ مَدَاخِلُ الشَّيْطَانِ فِي الْعَمَلِ تَتَفَاوَتْ عَلَى مِقْدَارِ فَضْلِهِ وَقَدْرِ ثَمَرَتِهِ، كَانَتْ مَدَاخِلُ الشَّيْطَانِ فِي الْعِلْمِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَأَبْعَدُ مِنْ أَنْ تُسْتَقْصَى؛ إِذِ الْعِلْمُ هُوَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ قَاطِبَةً.

قَالَ الْغَزَالِيُّ - هُوَ أَبُو حَامِدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ رُتْبَةً فِي حَقِّ الْأَدَمِيِّ: السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ وَأَفْضَلُ الْأَشْيَاءِ مَا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا، وَلَنْ يُتَوَصَّلَ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَلَا يُتَوَصَّلُ إِلَى الْعَمَلِ إِلَّا بِالْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ، فَأَفْضَلُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُوَ الْعِلْمُ، فَهُوَ - إِذَنْ - أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ»^(٢).

وَإِذَنْ؛ فَسَبِيلُ الْعِلْمِ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالْمَشَاقِّ، وَمَدَاخِلُ الشَّيْطَانِ فِيهِ لَا

(١) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٦٥ / ١٧).

(٢) «إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ» لِأَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ (١٢ / ١).

يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَمِنْهَا مَا يُفْسِدُ الْعِلْمَ ذَاتَهُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَمِنْهَا مَا يُفْسِدُ الْقَصْدَ وَالْإِرَادَةَ فِيهِ، وَمِنْهَا مَا يُفْسِدُ سَبِيلَ الطَّلَبِ، وَالنَّاجِي مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

لِذَلِكَ يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى دَرَسِ الْأَفَاتِ الَّتِي تَعْرِضُ لِلْعِلْمِ فَتُفْسِدُهُ، أَوْ تُفْسِدُ سَبِيلَ الطَّلَبِ عَلَى طَالِبِهِ، أَوْ تُفْسِدُ الْقَصْدَ وَالْإِرَادَةَ وَالنِّيَّةَ فِيهِ، حَتَّى لَا يُلِمَّ شَيْءٌ مِنْهَا بِهِ.

وَالْحَقُّ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْأَفَاتِ قَدْ نَفَرَ الشَّرْعُ مِنْهُ، وَرَغَبَ الدِّينُ عَنْهُ، عَلَى إِطْلَاقٍ، وَإِنَّمَا اِزْدَادَ تَنْفِيرُ الشَّرْعِ مِنْهُ، وَعَظُمَ تَرْغِيبُ الدِّينِ عَنْهُ -حَالَ تَعَلُّقِ شَيْءٍ مِنْهُ بِالْعِلْمِ- لِأَنَّ الْعِلْمَ هُوَ مَا هُوَ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ هُوَ عِصْمَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ، فَكَيْفَ إِذَا أَصْبَحَ عَيْنَ الدَّاءِ؟! وَهُوَ حَاجِزٌ عَنِ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ، فَكَيْفَ إِذَا اتَّخَذَ مَطِيَّةً لِلْبَلَاءِ؟!

وَإِلَيْكَ أَسْوَاقٌ -أَخِي- بَعْضُ تِلْكَ الْأَفَاتِ وَبَعْضُ مَا وَرَدَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهَا، وَالتَّرْغِيبِ عَنْهَا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثَلَّى أَنْ يُطَهِّرَنِي وَإِيَّاكَ مِنْهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَمَظْهَرًا وَمَخْبَرًا؛ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.



١- تَعَلُّمُ الْعِلْمِ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى

ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَبَيَّنَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ لَا ثَوَابَ لَهُ عِنْدَهُ، وَأَنَّهُ يَكْفُلُهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ طَيِّبًا وَأَرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ الْكَرِيمُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾: الْمَنْفَعَةُ الْعَاجِلَةُ أَوِ الدَّارَ الْعَاجِلَةَ، أَيُّ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ أَوْ بِأَعْمَالِ الْآخِرَةِ ذَلِكَ. ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا﴾ أَيُّ: فِي تِلْكَ الْعَاجِلَةِ.

﴿مَا نَشَاءُ﴾ نَحْنُ، لَا مَا يَشَاؤُهُ ذَلِكَ الْمُرِيدُ.

﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾، أَيُّ: لِمَنْ نُرِيدُ التَّعْجِيلَ لَهُ مِنْهُمْ، فَلَا يُحْصَلُ لِمَنْ أَرَادَ

الْعَاجِلَةَ مَا يَشَاءُهِ إِلَّا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ [فَكَمْ مِنْ عَامِلٍ لَهَا نَاصِبٌ يَمُوتُ بِحَسْرَتِهِ عَلَيْهَا].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾، بِسَبَبِ تَرْكِهِ لِمَا أُمِرَ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ.
﴿يَصْلِيْهَا﴾ أَي: يَدْخُلُهَا، ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾، أَي مَطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مُبْعَدًا عَنْهَا.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾، أَي: أَرَادَ بِأَعْمَالِهِ الدَّارَ الْآخِرَةَ.
﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾، أَي: السَّعْيُ اللَّائِقُ بِطَالِبِهَا عَلَى الْقَانُونِ الشَّرْعِيِّ، دُونَ ابْتِدَاعٍ وَلَا هَوًى.
﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بِاللَّهِ إِيْمَانًا صَاحِبًا.

﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَتْ سَعِيَّهُمْ مَشْكُورًا﴾، عِنْدَ اللَّهِ: أَي: مَقْبُولًا غَيْرَ مَرْدُودٍ^(١).
وَقَالَ الْقَاسِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي: مَنْ كَانَ طَلِبُهُ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ وَلَهَا يَعْمَلُ وَيَسْعَى، وَإِيَّاهَا يَتَّبِعِي، لَا يُوقِنُ بِمَعَادٍ، وَلَا يَرْجُو ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا مِنْ رَبِّهِ عَلَى عَمَلِهِ.
﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ أَي: مَا نَشَاءُ مِنْ بَسْطِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ أَوْ تَقْتِيرِهَا لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ ذَلِكَ، أَوْ إِهْلَاكِه بِمَا يَشَاءُ تَعَالَى مِنْ عُقُوبَاتِهِ

(١) «زُبْدَةُ التَّفْسِيرِ مِنْ فَتْحِ الْقَدِيرِ» لِلشُّوكَانِيِّ. اخْتِصَارُ د/ مُحَمَّدٍ سُلَيْمَانَ الْأَشْقَرِ (ص ٣٦٦).

الْمُعْجَلَةِ، ثُمَّ يَصَلِيْ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ مَذْمُومًا عَلَى قِلَّةِ شُكْرِهِ لِمَوْلَاهُ، وَسُوءِ صَنِيعِهِ فِيمَا سَلَفَ لَهُ، مَذْهُورًا مَطْرُودًا مِنَ الرَّحْمَةِ، مُبْعَدًا مُقْصِيًّا فِي النَّارِ.

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ، وَإِيَّاهَا طَلَبَ، وَلَهَا عَمَلٌ عَمَلَهَا الَّذِي هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ وَمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ، فَأُولَئِكَ كَانَ عَمَلُهُمْ مَشْكُورًا بِحُسْنِ الْجَزَاءِ^(١).

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ لَمْ يَقُلْ: عَجَّلْنَا لَهُ مَا يَشَاءُ!! بَلْ قَالَ: ﴿مَا نَشَاءُ﴾، أَيُّ: لَا مَا يَشَاءُ هُوَ، ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾، لَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ، فَقَيَّدَ الْمُعْجَلُ وَالْمُعْجَلُ لَهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

فَقَدْ قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾، أَيُّ: أَجْرَهَا وَثَوَابَهَا فَاْمَنْ بِهَا وَصَدَّقْ وَسَعَى لَهَا سَعِيَهَا.

﴿نَزِدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ﴾ بِأَنْ نُضَاعِفَ عَمَلَهُ وَجَزَاءَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعِيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]. وَمَعَ ذَلِكَ، فَنَصِيْبُهُ مِنَ الدُّنْيَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَهُ.

﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ بِأَنْ: كَانَتْ الدُّنْيَا هِيَ مَقْصُودُهُ، وَغَايَةُ مَطْلُوبِهِ، فَلَمْ يَقْدَمْ لِآخِرَتِهِ، وَلَا رَجَا ثَوَابَهَا، وَلَمْ يَخْشَ عِقَابَهَا.

(١) «مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ» لِلْقَاسِمِيِّ (٦/ ٤٥٢).

﴿تَوَيْتَهُ مِنْهَا﴾ نَصِيْبُهُ الَّذِي قُسِمَ لَهُ.

﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيْبٍ﴾ قَدْ حَرَّمَ الْجَنَّةَ وَنَعِيْمَهَا، وَاسْتَحَقَّ النَّارَ وَجَحِيْمَهَا» (١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٨٢).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهَ: «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٤٢٠٢)، وَقَالَ الْبُوصَيْرِيُّ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي: «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» (٤٠٩ / ٢).

وَعَنْ أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٤٢٠٣)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي: «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» (٤١٠ / ٢).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فِقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا

(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» لِلْسَّعْدِيِّ (ص ٧٠٢).

كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٤١٠٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» (٣٩٣/٢)، وَقَالَ فِي «السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٩٥٠): هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، كَمَا قَالَ الْبُوصَيْرِيُّ فِي «الزَّوَائِدِ».

وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الرِّيَاءَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ تَعَالَى: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ [الماعون: ٤-٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَحَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الرِّيَاءِ تَحْذِيرًا شَدِيدًا، يُنْفِرُ مِنْهُ وَيَصْرِفُ عَنْهُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

وَمِمَّا وَرَدَ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ فِيمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» (١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَمَعَ

(١) «الْبُخَارِيُّ» (٦١٣٤)، وَ «مُسْلِمٌ» (٢٣٨٧).

وَ «سَمَعَ» هُوَ بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ، وَمَعْنَاهُ: مَنْ أَظْهَرَ عَمَلَهُ لِلنَّاسِ رِيَاءً، أَظْهَرَ اللَّهُ نِيَّتَهُ الْفَاسِدَةَ فِي عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ.

النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمِعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَرَهُ وَحَقَّرَهُ».

قَالَ الْمُنْذِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِإِسْنَادٍ أَحَدُهَا صَحِيحٌ، وَالْبَيْهَقِيُّ.

وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ أَيْضًا.

وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ الْحَدِيثَ فِي: «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»^(١).

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ رَأَى إِلَى اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ قَامَ مَقَامَ سُوءَةٍ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ».

قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ^(٢).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ فِي الدُّنْيَا مَقَامَ سُوءَةٍ وَرِيَاءٍ إِلَّا سَمِعَ اللَّهُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ^(٣).

قَالَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ أَنَّ الرِّيَاءَ مُشْتَقٌّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، وَالسُّوءَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ السَّمَاعِ، وَإِنَّمَا الرِّيَاءُ أَصْلُهُ طَلَبُ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِإِرَائِهِمْ خِصَالَ الْخَيْرِ

(١) «صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (١/١١٧)، وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٦٥٠٩، ٦٩٨٦، ٧٠٨٥) طَبْعَةُ الشَّيْخِ شَاكِرٍ.

(٢) «صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (١/١١٨).

(٣) «صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (١/١١٨).

إِلَّا أَنَّ الْجَاهَ وَالْمَنْزِلَةَ تُطْلَبُ فِي الْقَلْبِ بِأَعْمَالٍ سِوَى الْعِبَادَاتِ وَتُطْلَبُ بِالْعِبَادَاتِ.

وَأَسْمُ الرِّيَاءِ مَخْصُوصٌ بِحُكْمِ الْعَادَةِ بِطَلَبِ الْمَنْزِلَةِ فِي الْقُلُوبِ بِالْعِبَادَاتِ وَإِظْهَارِهَا.

فَالْمُرَائِي هُوَ الْعَابِدُ، وَالْمُرَاءَى هُوَ النَّاسُ الْمَطْلُوبُ رُؤْيَتُهُمْ؛ بِطَلَبِ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَالْمُرَاءَى بِهِ هُوَ الْخِصَالُ الَّتِي قَصَدَ الْمُرَائِي إِظْهَارَهَا، وَالرِّيَاءُ هُوَ قَصْدُهُ إِظْهَارَ ذَلِكَ^(١).

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِمَنْ اتَّسَعَ وَقْتُهُ وَأَصَحَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ جِسْمُهُ، وَحَبَبَ إِلَيْهِ الْخُرُوجُ مِنْ طَبَقَةِ الْجَاهِلِينَ، وَأَلْقَى فِي قَلْبِهِ الْعَزِيمَةَ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، أَنْ يَغْتَنِمَ الْمُبَادَرَةَ إِلَى ذَلِكَ؛ خَوْفًا مِنْ حُدُوثِ أَمْرٍ يَقْطَعُهُ عَنْهُ، وَتَجَدُّدِ حَالٍ تَمْنَعُهُ مِنْهُ.

وَلَيْسَتْ عَمَلِ الْجِدِّ فِي أَمْرِهِ وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي قَصْدِهِ، وَالرَّغْبَةَ إِلَى اللَّهِ فِي أَنْ يَرْزُقَهُ عِلْمًا يُوفِّقُهُ فِيهِ، وَيَعِيدَهُ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ.

وَلِيَحْذَرَ أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ فِيمَا يَطْلُبُ: الْمُجَادَلَةَ بِهِ، وَالْمُمَارَاةَ فِيهِ، وَصَرَفَ الْهِمَمَ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الْأَعْوَاضَ عَلَيْهِ^(٢).

(١) «تَهْذِيبُ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» لِلْأُسْتَاذِ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ (٢/ ١١٣).

(٢) «الْفَقِيهَةُ وَالْمُتَّفَقَةُ» لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٢/ ٨٧).

وَلَوْ أَنَّ الْأَمْرَ مَرَّ كِفَافًا لَأَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، لَكَانَ هَيْنًا وَكَانَ مُحْتَمَلًا، وَلَكِنَّ الْعِقَابَ مُرَّ أَلِيمٌ، وَالْعَذَابَ مَهِينٌ عَظِيمٌ.

وَهَاكَ صَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَحَدَّرُ إِلَى الْأَسْمَاعِ فِي ظِلَالٍ وَنَدَى، يُرْشِدُ وَيُحَذِّرُ، وَيُوضِّحُ وَيَذَكِّرُ فَهَلْ مِنْ مُتَذَكِّرٍ؟!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١).

ذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْغَازِي وَالْعَالِمَ وَالْجَوَادَ، الَّذِينَ يُرَآوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَتَّبِعُونَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ: «قَوْلُهُ ﷺ فِي الْغَازِي وَالْعَالِمِ وَالْجَوَادِ، وَعِقَابُهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَإِدْخَالُهُمُ النَّارَ، دَلِيلٌ عَلَى تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الرِّيَاءِ وَشِدَّةِ عُقُوبَتِهِ، وَعَلَى الْحَثِّ عَلَى وَجُوبِ الْإِخْلَاصِ فِي الْأَعْمَالِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وَفِيهِ: أَنَّ الْعُمُومَاتِ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ مُخْلِصًا، وَكَذَلِكَ الشَّاءُ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَعَلَى الْمُتَّقِينَ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، كُلُّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى مُخْلِصًا^(١).

فَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى؛ ابْتِغَاءً لَشَهْوَةِ فَارِغَةٍ، وَطَلَبًا لَشَهْوَةِ عَاجِلَةٍ، وَسَعْيًا وَرَاءَ تَقْدِيرٍ يَصِيرُ إِلَى عَدَمٍ، وَعَدُوًّا خَلْفَ فَرَحٍ يَتَوَلَّى إِلَى نَدَمٍ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَدْخُلُ فِي دَائِرَةِ الْوَعِيدِ، وَيُنْظَمُ فِي سِلْكِ التَّحْرِيمِ الشَّدِيدِ.

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَهُ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٦٥٤)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي: «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٣٣٧/٢)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «كِتَابِ الصَّمْتِ» (١٤١)، وَالْحَدِيثُ

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ» (٥٠/١٣).

صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي: «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٤٦/١).

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ يَكُونُ الْعِلْمُ هَلَاكًا عَلَى صَاحِبِهِ إِذَا طَلَبَهُ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ، وَالْمَعْنَى فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النِّيَّةَ هِيَ رُكْنُ الْعَمَلِ أَوْ شَرْطُهُ الَّذِي لَا يُعْتَدُّ بِهِ إِلَّا بِهَا، فَإِذَا عُدِمَتْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا، فَإِذَا أُفْسِدَتْ فَسَدَ الْهَوَى، وَيَكُونُ فَسَادُهُ عَلَى قَدْرِ مُفْسِدِهِ.

فَإِذَا أَرَادَ مُجَارَاةَ الْعُلَمَاءِ دَخَلَ فِي بَابِ الْحَسَدِ لِلظُّهُورِ وَالْمُبَاهَاةِ عَلَى الْأَقْرَانِ فَقَلَبَ مَا لِلْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، وَإِنْ أَرَادَ مُمَارَاةَ السُّفَهَاءِ فَهُوَ مِثْلُهُمْ، وَإِنْ أَرَادَ صَرْفَ وُجُوهِ النَّاسِ؛ لِيَكْتَسِبَ الْحُطَامَ فَقَدْ بَاعَ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَهُوَ عَاصٍ فَاسِقٌ تَحْتَ رَجَاءِ الْخَاتِمَةِ فِي الْمَوْتِ عَلَى الشَّهَادَةِ، فَيَكُونُ فِي الْمَشِيئَةِ، أَوْ فِي تَزَعُّعِ الْعَقِيدَةِ بِضَعْفِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ وَقُوَّةِ الْفِتْنَةِ، أَوْ ذَهَابِهَا فَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». يَعْنِي: رِيحَهَا.

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٦٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي: «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (٤١٢/٢)، وَابْنُ مَاجَةَ (٢٥٢)، وَصَحَّحَهُ فِي: «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ»

(١) «عَارِضَةُ الْأَحْوَذِيِّ بِشَرْحِ صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» لِابْنِ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيِّ (١٠/١٢١).

(٤٨ / ١)، وَابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ (٧٧)، وَالْحَاكِمُ (١ / ٨٥)، وَقَالَ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ، سَنَدُهُ ثِقَاتٌ، رَوَاتُهُ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ». وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

قَالَ مُحَمَّدٌ فُؤَادٌ عَبْدُ الْبَاقِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَرَضًا. أَيْ: مَتَاعًا.

و «مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ»: بَيَانٌ لِلْعِلْمِ الَّذِي يُطْلَبُ بِهِ رِضَا اللَّهِ، وَهُوَ الْعِلْمُ الدِّينِيُّ، فَلَوْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِلَعْمِ الْفَلَسَفَةِ وَنَحْوِهِ فَهُوَ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي أَهْلِ هَذَا الْوَعِيدِ»^(١).

قُلْتُ: وَيَنْبَغِي أَنْ يُقَيَّدَ هَذَا الْكَلَامُ بِمَا إِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي ذَاتِهِ مَشْرُوعًا غَيْرَ مَمْنُوعٍ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْعِلْمُ الَّذِي تُبْتَغَى بِهِ الدُّنْيَا مَحْظُورًا، فَالْوَعِيدُ مُحِيطٌ بِمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا لَا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لَتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءُ، وَلَا لَتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءُ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ».

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٢٥٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي: «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» (٤٨ / ١)، وَابْنُ حَبَّانٍ فِي «صَحِيحِهِ» (٧٦)، وَالْحَاكِمُ (١ / ٨٦)، وَذَكَرَهُ الْمُنْذِرِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (١ / ١٢٩)، وَقَالَ: «رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَابْنُ حَبَّانٍ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ، كُلُّهُمْ مِنْ رِوَايَةِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ الْغَافِقِيِّ عَنْ

(١) «سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ مُحَمَّدٌ فُؤَادٌ عَبْدُ الْبَاقِي (١ / ٩٣).

ابن جريج عن أبي الزبير عنه، ويحيى هذا ثقة احتج به الشيخان وغيرهما، ولا يلتفت إلى من شذ فيه».

قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٧/١): «ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم أيضا (٨٦/١)، وابن عبد البر (١٨٧/١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه -أيضا- الحافظ العراقي (٥٢/١)، وهو كما قالوا إن سلم من الانقطاع، فإن ابن جريج وشيخه أبا الزبير مدلسان معروفان بذلك، وقد عنعنه، غير أن الحديث صحيح على كل حال؛ فإن له شواهد في الباب يتقوى بها، وتتقوى به».

وقوله عليه السلام: «لا تعلموا»: أي: لا تتعلموا، بحذف إحدى التاءين، و «لا تخيروا»: أي: لا تختاروا به خيار المجالس وصدورها، «فالنار»: أي: فله النار، أو: فيستحق النار، و «النار»: مرفوع على الأول، منصوب على الثاني (١).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب العلم ليُمَارِي به السفهاء، أو ليُبَاهِي به العلماء، أو ليصرف وجه الناس إليه فهو في النار».

رواه ابن ماجه (٢٥٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٨/١).

قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمته الله في «سنن ابن ماجه» (٩٣/١):

«فِي الزَّوَائِدِ: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ؛ لِضْعَفِ حَمَّادٍ وَأَبِي كَرْبٍ». وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٤٧/١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهُ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ».

رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٢٦٠)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» (٤٨/١)، وَصَحَّحَهُ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٤٧/١).

ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ طَالُوتَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَذْهَمَ يَقُولُ: «مَا صَدَقَ اللَّهُ عَبْدٌ أَحَبَّ الشُّهْرَةَ».

قَالَ الذَّهَبِيُّ: «عَلَامَةُ الْمُخْلِصِ الَّذِي قَدْ يُحِبُّ الشُّهْرَةَ، وَلَا يَشْعُرُ بِهَا، أَنَّهُ إِذَا عُوتِبَ فِي ذَلِكَ، لَا يَحْرُدُ وَلَا يُبْرِي نَفْسَهُ، بَلْ يَعْتَرِفُ، وَيَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي، وَلَا يَكُونُ مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ؛ لَا يَشْعُرُ بِعُيُوبِهَا، بَلْ لَا يَشْعُرُ أَنَّهُ لَا يَشْعُرُ، فَإِنَّ هَذَا دَاءٌ مُزْمِنٌ» (١).

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٣٦٠/١١) مَوْقُوفًا، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسِ الْحَنْظَلِيِّ (٢) قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ فَقَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي: أَنْ

(١) «سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» لِلذَّهَبِيِّ (٣٩٣/٧).

(٢) قَالَ الشَّيْخُ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ الْأَعْظَمِيُّ: هُوَ عِنْدِي سَلِيمُ بَنِي قَيْسِ الْعَامِرِيِّ، ذَكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ مَرَّةً مَنُسوبًا إِلَى أَبِيهِ، وَأُخْرَى غَيْرَ مَنُسوبٍ، وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ غَيْرَ مَنُسوبٍ.

يُؤْخَذَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ الْبَرِيءُ فَيُؤْشَرُ كَمَا يُؤْشَرُ الْجَزُورُ، وَيَشَاطُ لَحْمُهُ كَمَا يُشَاطُ لَحْمُهَا، وَيُقَالُ: عَاصٍ، وَلَيْسَ بِعَاصٍ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ وَهُوَ تَحْتَ الْمِنْبَرِ: وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟! أَوْ بِمَ تَشْتَدُّ الْبَلِيَّةُ، وَتَظْهَرُ الْحَمِيَّةُ، وَتُسَبِّى الدُّرِّيَّةُ، وَتَدْقُهُمُ الْفِتَنُ كَمَا تَدْقُ الرَّحَا ثِفْلَهَا، وَكَمَا تَدْقُ النَّارُ الْحَطَبَ؟ قَالَ: وَمَتَى ذَلِكَ يَا عَلِيٌّ؟ قَالَ: إِذَا تَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَتَعَلَّمَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَالتَّمَسَّتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ». رَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ «الْمُصَنَّفِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٤٨ / ١).

* غَرِيبُ الْحَدِيثِ:

يُؤْشَرُ: يُنْشَرُ، يُقَالُ: أَشَرْتُ الْخَشَبَةَ أَشْرًا، وَوَشَرْتُهَا وَشْرًا، إِذَا شَقَقْتُهَا، مِثْلُ: نَشَرْتُهَا نَشْرًا.

الْجَزُورُ: النَّاقَةُ الْمَجْزُورَةُ، وَالْجَمْعُ: جَزَائِرُ وَجُزُرُ، وَجَزَرَاتُ جَمْعُ الْجَمْعِ، كَطَرَقٍ وَطُرُقَاتٍ، وَالْجَزُورُ يَقَعُ عَلَى الذَّكْرِ وَالْأُنْثَى، وَهُوَ يُؤْنْتُ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَةَ مُؤْنَتَةٌ، تَقُولُ: هَذِهِ الْجَزُورُ، وَإِنْ أَرَدْتَ ذَكَرًا.

يُشَاطُ: شَيْطَ فَلَانُ اللَّحْمِ إِذَا دَخَنَهُ وَلَمْ يُنْضِجْهُ، وَالتَّشْيِيطُ: لَحْمٌ يُصْلَحُ لِلْقَوْمِ وَيَشْوَى لَهُمْ.

إِلَى أَبِيهِ وَنَسَبُهُ عَامِرِيًّا، وَقَدْ حَرَفَ نَاشِرُو «الْمُسْتَدْرَكِ» فَأَتَّبَتُوا: أَبَانَ بْنَ سَلِيمٍ «مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ» (٣٦٠ / ١١).

الثُّفَالُ: بِالْكَسْرِ، الْجِلْدُ الَّذِي يُبْسَطُ تَحْتَ رَحَى الْيَدِ؛ لِيَقِيَ الطَّحِينَ مِنَ التُّرَابِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا تَدْفُهُمْ دَقَّ الرَّحَى إِذَا كَانَتْ مُثْفَلَةً، وَلَا تُثْفَلُ إِلَّا عِنْدَ الطَّحْنِ.
قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ خَلِيلُ هَرَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُهُ: «إِذَا تَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ». أَيْ: إِذَا تَعَلَّمَ النَّاسُ الْفِقْهَ لَا مِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ بِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى مَنَاصِبِ الْفُتْيَا وَالْقَضَاءِ وَالتَّزَلُّفِ إِلَى الْأُمَرَاءِ»^(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا لَبَسْتُمْ فِتْنَةً، يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَتَتَّخِذُ سُنَّةً، فَإِنْ غُيِّرَتْ يَوْمًا قِيلَ: هَذَا مُنْكَرٌ. قِيلَ: وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: إِذَا قَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أَمْرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فِقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ قُرَاؤُكُمْ، وَتَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَالتَّمَسَّتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ (٧٥/١، ٧٦). وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ إِسْنَادَ الدَّارِمِيِّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٤٨/١)، وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٣٥٩/١١) مَوْقُوفًا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بِإِسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ.

* تَفْسِيرُ الْغَرِيبِ^(٢):

«لَبَسْتُمْ فِتْنَةً». يَعْنِي: عَشَيْتُمْكُمْ وَأَحَاطَتْ بِكُمْ كَمَا يُحِيطُ الثَّوْبُ بِلَابِسِهِ.

(١) «التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ» لِلْمُنْذِرِيِّ. ط، د. مُحَمَّدٌ خَلِيلُ هَرَّاسٍ (١٣١/١).

(٢) انْظُرْ: «التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ» تَعْلِيقُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ خَلِيلِ هَرَّاسٍ (١٣١/١).

«يَرْبُو»: يَزِيدُ وَيَنْمُو.

«يَهْرُمُ»: يُقَالُ: هَرِمَ يَهْرُمُ. مِنْ بَابِ تَعَبَ، إِذَا شَاخَ وَتَقَدَّمَ بِهِ السِّنُّ.

«تَتَّخِذُ سُنَّةً» أَي: طَرِيقَةً مُتَّبَعَةً وَمَنْهَجًا مَسْلُوكًا.

«هَذَا مُنْكَرٌ» أَي: مَعِيبٌ قَبِيحٌ.

«فَقَهَاؤُكُمْ» - جَمْعُ فَقِيهٍ -: وَهُوَ الْمُشْتَغِلُ بِفَهْمِ النُّصُوصِ.

«قَرَأُوكُمْ»: الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الْقِرَاءَةَ تَجْوِيدًا وَأَدَاءً.

«الْتَمَسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ» يَعْنِي: جُعِلَ الدِّينُ وَسِيلَةً إِلَى تَحْصِيلِ الدُّنْيَا، وَقَدْ قِيلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ: مَنْ السُّفْلَةُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ».

وَلِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْجَامِعِ» بَابٌ مَعْقُودٌ فِي بَيَانِ النِّيَّةِ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، قَالَ فِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَجِبُ عَلَى طَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ فِي طَلَبِهِ، وَيَكُونَ قَصْدُهُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَلِيَحْذَرَ أَنْ يَجْعَلَهُ سَبِيلًا إِلَى نَيْلِ الْأَعْرَاضِ، وَطَرِيقًا إِلَى اخْتِذِ الْأَعْوَاضِ، فَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ لِمَنْ ابْتَغَى ذَلِكَ بِعِلْمِهِ.

وَلِيَتَّقِ الْمُفَاخَرَةَ وَالْمُبَاهَاةَ بِهِ، وَأَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ نَيْلَ الرِّئَاسَةِ، وَاتِّخَاذَ الْإِتْبَاعِ وَعَقْدَ الْمَجَالِسِ؛ فَإِنَّ الْأَفْهَامَ الدَّاخِلَةَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَكْثَرُهَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَلِيَجْعَلَ حِفْظَهُ لِلْحَدِيثِ حِفْظَ رِعَايَةٍ، لَا حِفْظَ رِوَايَةٍ، فَإِنْ رُوَاةُ الْعُلُومِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتُهَا قَلِيلٌ، وَرُبَّ حَاضِرٍ كَالْغَائِبِ وَعَالِمٍ كَالْجَاهِلِ، وَحَامِلٍ لِلْحَدِيثِ لَيْسَ مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ، إِذْ كَانَ فِي اطِّرَاحِهِ لِحُكْمِهِ بِمَنْزِلَةِ الذَّاهِبِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ.

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَأَلَهُ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَ طَلَبَهُ، وَمُجَازِيهِ عَلَى عَمَلِهِ بِهِ^(١).

قُلْتُ: وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمْ أَنَّ طَلَبَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ عُقُوبَةٌ فِي الدُّنْيَا عَاجِلَةٌ، وَمَحَقٌّ لِبَرَكَةِ الْعُمُرِ وَذَهَابِ لِحَيْرِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَعِقَابٌ أَلِيمٌ.

قَالَ الْحَسَنُ: «عُقُوبَةُ الْعَالِمِ: مَوْتُ الْقَلْبِ. قِيلَ لَهُ: وَمَا مَوْتُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: طَلَبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ».

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالِمَ مُحِبًّا لِلدُّنْيَا فَاتَّهَمُوهُ عَلَى دِينِكُمْ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحِبٍّ لَشَيْءٍ يَحُوطُ مَا أَحَبَّ».

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمُ لِيَتَّقِيَ بِهِ اللَّهَ، وَإِنَّمَا فَضِلَ الْعِلْمُ عَلَى غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ يَتَّقِيَ اللَّهَ بِهِ».

وَقَالَ أَيْضًا: «زَيَّنُوا الْعِلْمَ وَلَا تَزَيَّنُوا بِهِ»^(٢).

وَأَذْكُرُ -بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ- مِثَالًا يَكُونُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- كَالْتَّطْبِيقِ لِمَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ وَجُوبِ الْإِخْلَاصِ فِي الطَّلَبِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَفِيهِ مِنْ مُحَاسَبَةِ

(١) «الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاوي وَآدَابِ السَّامِعِ» لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (١ / ٨١).

(٢) «جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ» لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ (١ / ١٩١).

النَّفْسِ وَتَدْقِيقِ التَّفْتِيشِ عَنْ بَوَائِثِ الْعَمَلِ وَدَوَائِعِ الطَّلَبِ مَا يَجْمُلُ بِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَأَمَّلَهُ حَتَّى لَا يَلْحَقَهُ فِي طَلَبِهِ رِيَاءٌ وَلَا سُمْعَةٌ.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَرْجَمَةِ هِشَامِ الدَّسْتَوَائِيِّ: «هُوَ الْحَافِظُ، الْحُجَّةُ، الْإِمَامُ، الصَّادِقُ، أَبُو بَكْرٍ، هِشَامُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ الرَّبْعِيُّ، صَاحِبُ الثِّيَابِ الدَّسْتَوَائِيَّةِ، كَانَ يَتَجَرُّ فِي الْقَمَاشِ الَّذِي يُجْلَبُ مِنْ دَسْتَوَا، وَدَسْتَوَا بُلَيْدَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْأَهْوَازِ».

قَالَ عَوْنُ بْنُ عُمَارَةَ: «سَمِعْتُ هِشَامًا الدَّسْتَوَائِيَّ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ: إِنِّي ذَهَبْتُ يَوْمًا قَطُّ أَطْلُبُ الْحَدِيثَ أُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ﷻ. قَالَ الذَّهَبِيُّ: وَاللَّهِ وَلَا أَنَا، فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ لِلَّهِ فَنَبُلُوا، وَصَارُوا أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ، وَطَلَبَهُ قَوْمٌ مِنْهُمْ أَوَّلًا لَا لِلَّهِ، وَحَصَّلُوهُ، ثُمَّ اسْتَفَاقُوا، وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ، فَجَرَّهُمُ الْعِلْمُ إِلَى الْإِخْلَاصِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: طَلَبْنَا هَذَا الْعِلْمَ وَمَا لَنَا فِيهِ كَبِيرُ نِيَّةٍ، ثُمَّ رَزَقَ اللَّهُ النِّيَّةَ بَعْدَ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: طَلَبْنَا هَذَا الْعِلْمَ لَغَيْرِ اللَّهِ، فَأَبَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ».

فَهَذَا أَيْضًا حَسَنٌ، ثُمَّ نَشَرُوهُ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ.

وَقَوْمٌ طَلَبُوهُ بِنِيَّةٍ فَاسِدَةٍ لِأَجْلِ الدُّنْيَا، وَلِيُشْنَى عَلَيْهِمْ، فَلَهُمْ مَا نَوَوْا، وَتَرَى هَذَا الضَّرْبَ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَا لَهُمْ وَقْعٌ فِي النُّفُوسِ، وَلَا لِعِلْمِهِمْ كَبِيرُ نَتِيجَةٍ مِنَ الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا الْعَالَمُ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى.

وَقَوْمٌ نَالُوا الْعِلْمَ، وَوُلُّوا بِهِ الْمَنَاصِبَ، فَظَلَمُوا، وَتَرَكُوا التَّقِيدَ بِالْعِلْمِ، وَرَكِبُوا الْكِبَائِرَ وَالْفَوَاحِشَ، فَتَبَّ لَهُمْ، فَمَا هُوَ إِلَّا بِعُلَمَاءَ.

وَبَعْضُهُمْ لَمْ يَتَّقِ فِي عِلْمِهِ، بَلْ رَكِبَ الْحِيلَ، وَأَفْتَى بِالرُّخَصِ، وَرَوَى الشَّاذَّ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَبَعْضُهُمْ اجْتَرَأَ عَلَى اللَّهِ وَوَضَعَ الْأَحَادِيثَ، فَهَتَكَهُ اللَّهُ، وَذَهَبَ عِلْمُهُ، وَصَارَ زَادُهُ إِلَى النَّارِ.

وَهَؤُلَاءِ الْأَقْسَامُ كُلُّهُمْ رَوَوْا مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا كَبِيرًا، وَتَضَلَّعُوا مِنْهُ فِي الْجُمْلَةِ، فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ بَانَ نَقْصُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَتَلَاهُمْ قَوْمٌ انْتَمَوْا إِلَى الْعِلْمِ فِي الظَّاهِرِ، وَلَمْ يُتَّقِنُوا مِنْهُ سِوَى نَزْرِ يَسِيرٍ، أَوْهَمُوا بِأَنَّهُمْ عُلَمَاءُ فَضْلَاءُ، وَلَمْ يَدْرِ فِي أَذْهَانِهِمْ قَطُّ أَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُمْ مَا رَأَوْا شَيْخًا يُقْتَدَى بِهِ فِي الْعِلْمِ، فَصَارُوا هَمَجًا رَعَاعًا، غَايَةُ الْمُدْرَسِ مِنْهُمْ أَنْ يُحْصَلَ كُتُبًا مُثَمَّنَةً يُخَزِّنُهَا وَيَنْظُرُ فِيهَا يَوْمًا مًا، فَيُصَحِّفُ مَا يُورِدُهُ وَلَا يُقَرِّرُهُ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ النَّجَاةَ وَالْعَفْوَ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: مَا أَنَا عَالِمٌ وَلَا رَأَيْتُ عَالِمًا^(١).

وَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْعَمَلِ وَرَائِدُهُ، وَهُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ تُخْلِصَ فِيهِ النِّيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى، حَتَّى يَزْكُو فَيُثْمَرَ عَمَلًا عَلَى رَجَاءِ الْقَبُولِ وَعَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ.

وَفِي الْحَثِّ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَالتَّنْفِيرِ مِنَ الرِّيَاءِ، وَرَدَّتْ جُمْلَةٌ وَافِرَةٌ مِنْ

(١) «سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» لِلذَّهَبِيِّ (١٥٢/٧).

الْأَحَادِيثِ، تُرْغَبُ وَتُرْهَبُ، وَتُبَاعَدُ وَتُقَرَّبُ.

وَمِنْهَا حَدِيثُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ وَفَرَائِدِ بَيَانِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عِظَمِ مَوْقِعِ هَذَا الْحَدِيثِ وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهِ وَصِحَّتِهِ، قَالَ الشَّافِعِيُّ وَآخَرُونَ: هُوَ ثُلُثُ الْإِسْلَامِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفِقْهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ رُبُعُ الْإِسْلَامِ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُهْدِيٍّ وَغَيْرُهُ: يَنْبَغِي لِمَنْ صَنَّفَ كِتَابًا أَنْ يَبْدَأَ فِيهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ؛ تَنْبِيْهًُا لِلطَّالِبِ عَلَى تَصْحِيحِ النِّيَّةِ، وَنَقْلِ الْخَطَابِيِّ هَذَا عَنِ الْأَئِمَّةِ مُطْلَقًا، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ؛ فَابْتَدَءُوا بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ»^(٢).

فَيَجِبُ الْإِخْلَاصُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِلَّهِ تَعَالَى، بِأَنْ يَنْوِيَ الطَّالِبُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ يَنْوِيَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ رَفْعَ الْجَهْلِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ غَيْرِهِ، وَأَنْ يَنْوِيَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ الدِّفَاعَ عَنِ الشَّرِيعَةِ ضِدَّ هَجَمَاتِ التَّغْرِيبِ وَالتَّشْوِيشِ، وَحَمَلَاتِ الزَّيْفِ وَالتَّشْوِيشِ؛ لِأَنَّ الدِّفَاعَ عَنِ الشَّرِيعَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِرِجَالِهَا.

(١) «الْبُخَارِيُّ» (١)، وَمُسْلِمٌ (١٩٠٧).

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ» (١٣/٥٣).

ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السِّيَرِ»، فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ، الْعَلَّامَةِ، الْحَافِظِ، شَيْخِ الْحَرَمِ، عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جُرَيْجٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَابْنَ جُرَيْجٍ: لِمَنْ طَلَبْتُمُ الْعِلْمَ؟ كُلُّهُمْ يَقُولُ: لِنَفْسِي: غَيْرَ أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ فَإِنَّهُ قَالَ: طَلَبْتُهُ لِلنَّاسِ.

قُلْتُ: مَا أَحْسَنَ الصَّدَقَ! وَالْيَوْمَ تَسْأَلُ الْفَقِيهَ الْغَبِيَّ: لِمَنْ طَلَبْتَ الْعِلْمَ؟ فَيَبَادِرُ وَيَقُولُ: طَلَبْتُهُ لِلَّهِ، وَيَكْذِبُ إِنَّمَا طَلَبَهُ لِلدُّنْيَا، وَيَا قَلَّةَ مَا عَرَفَ مِنْهُ»^(١).

وَذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السِّيَرِ»، فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ، أَبِي بَسْطَامٍ، شُعْبَةَ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ الْوَرْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ أَبُو قَطْنٍ: سَمِعْتُ شُعْبَةَ بْنَ الْحَجَّاجِ يَقُولُ: مَا شَيْءٌ أَخَوْفَ عِنْدِي مِنْ أَنْ يُدْخِلَنِي النَّارَ مِنَ الْحَدِيثِ.

وَعَنْهُ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي وَقَّادُ حَمَّامٍ^(٢)، وَأَنِّي لَمْ أَعْرِفِ الْحَدِيثَ. قُلْتُ: كُلُّ مَنْ حَاقَقَ نَفْسَهُ فِي صِحَّةِ نَبِيِّهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ يَخَافُ مِنْ مِثْلِ هَذَا، وَيَوَدُّ أَنْ يَنْجُو كِفَافًا»^(٣).



(١) «سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» لِلذَّهَبِيِّ (٦/٣٢٨).

(٢) وَقَّادُ الْحَمَّامِ: هُوَ مَنْ يُشْعِلُ النَّارَ؛ لِتَسْخِينِ الْمَاءِ فِي الْحَمَّامِ الْعَامِّ.

(٣) «سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» لِلذَّهَبِيِّ (٧/٢١٣).